عاصرت كل جبهات النضال بجانب البندقية

الأغنية.. رصاصة ثائرة

■ يندر أن تجد من يكتب عن دور الكلمة في نضالات اليمنيين من أجل الحرية والاستقلال في عهود الظلامية والاستعمار بكثير من التقصي والبحث الدؤوب عن الدور الحقيقي للكلمة، وللكلمة المغناة على وجه التحديد.. عبدالرحمن سيف هو واحد من المهتمين بالأغنية اليمنية الشعبية والوطنية وهو ضليع في مجاله.. هذه الدراسة التي كتبها الباحث عبدالرحمن سيف تكتسب أهميتها ليس من أهمية الحدث والمناسبة، ولكن من كونها تقصّياً عميقاً لحقيقة دور الأغنية في النضال الوطني.. وبالمناسبة نجتزأ منها في هذه المساحة التالي:

عبدالرحمن سيف

الأغنية الوطنية في اليمن كانت المحرك الأقوى للثورة، وربما أنها أبلغ تأثيراً من البندقية، فكان المواطن العادي بثقافته المحدودة يستجيب لها ويتأثر بمضمونها، ولهذا لازمت الأغنية الثورية صوت المدافع التي كانت تنطلق في ربوع الوطن اليمني مدافعة عن الثورة ونظامها الوطني الوليد.. وهي هنا شكلت أحد أهم عوامل صمود الثورة وانتصارها، لاسيما أثناء حصار السبعين يوماً التي تعرضت له صنعاء عام ١٩٦٨،٦٧م وإلى جانب هذه الخصوصية، هناك خصوصيات أخرى للأغنية الثورية في اليمن، تتمثل في العاطفة الوطنية الجياشة التي امتزجت بالمد القومي الذي بلغ ذروته في مرحلة الخمسينيات والستينيات، وبداية السبعينيات، فالفنان اليمني كان دائماً ميالاً للثورة داعياً لها:

(يا شاكي السلاح، شوف الفجر لاح
حط يدك على المدفع، زمان الذل راح
هذا الغير سيد واحنا له عبيد
يامن مات والله أنه من القهر،
استراح)..
(أنا الشعب زلزلة عاتية ستخمد نيرانهم غضبتي
ستخرس أصواتهم صيحتي
أنا الشعب زلزلة عاتية).

والفنان اليمني أيضاً ارتبط بالأرض والتاريخ.. الوطن والإنسان، وكان الوطن والإنسان والتطور والثورة على الجمود والتقوقع والرتابة دافعه الأول نحو التغيير، ورفع مستواه الثقافي والسياسي، وكانت الجماهير القوة المحركة له نحو الإبداع.

والأغنية اليمنية أيضاً كانت تحمل مشروعاً حضارياً وإنسانياً حقيقياً، نحو الديمقراطية والحرية والإبداع، ولهذا كان الفنان جزءاً من التغير والتطور والتقدم.. جزءاً من حركة ديالكتيكية تدعو للتحرر والانعتاق من مخلفات الماضي، لهذا كان الفنان حزباً بمفرده، لارتباطه بنضالات وتضحيات الناس.. بالشغيلة وسائر الكادحين، فارتبط الفن بالجماهير، وهو ارتباط ديناميكي موضوعي، وهذا من ميزات الفن الثوري الجديد.

وربما أن الأغنية اليمنية كانت أكثر ألوان النشاط الاجتماعي وقعاً على الجماهير، لأنها كانت قريبة منه، تلامس أوجاعهم وأحاسيسهم ومشاعرهم في التعبير والتطوير المستمر، وأصبحت مجالات اهتمام الأغنية الوطنية واسعة (وأصبحت هناك أغانٍ للأحداث الاجتماعية وأغانٍ للأديان وأغانٍ للرقص والحرب والسلم وأغانٍ للأفراح والأتراح) وهناك الغناء القومي الوطني، لأن الأغنية الوطنية حظيت باهتمام واسع من الجمهور فالأغنية الوطنية والقومية هي الأغنية التي تعبر عن الحنين إلى الوطن والتغني بأمجاده، ويطلق عليها الأغنية الوطنية أو النشيد الوطني مثل «رددي أيتها الدنيا نشيدي» لأيوب طارش.. فالغناء الذي يدعو إلى الثورة ويحارب الفساد والظلم ويحض على مقاومة الاستعمار ويدعو إلى الحرية والوحدة، وذلك ما ندعوه بالغناء القومي، ومثال ذلك «أنا الشعب زلزلة عاتية» للفنان محمد مرشد ناجي، وبما أن بلادنا عاشت قرناً ونيفاً تحت الاستعمار البريطاني في عدن والذي ساعد على توطيد الحكم الإمامي في شمال اليمن، نرى أن الأغنية الوطنية ظلت في عدن تقارع الاستعمار وأدواته، وتلهب حماس الجماهير وتحرضهم على الاستعمار في الجنوب والاستبداد في الشمال، حتى أيقظت الشعور الوطني، حتى أن الأغنية الوطنية كان لها دور فاعل في مشاركة الجماهير النضالية، حيث كانت الأغنية بمثابة الوقود الثوري للثورة في مرحلة الكفاح المسلح والتحولات الثورية، وكان من روادها آنذاك في الجنوب «محمد مرشد ناجي، وعبدالله هادي سبيت».. ومع بزوغ ثورة السادس والعشرين من أيلول/ سبتمبر الخالدة عام ١٩٦٢م وقفت الأغنية إلى جانب الثورة والثوار وفتحت نيرانها على الأعداء داخل اليمن وخارجه، وبهذا واصلت الأغنية الوطنية تحريضها وشحذ همم الشباب للانخراط في الثورة والجمهورية، وساهمت الأغنية التي واكبت ثورة سبتمبر الخالدة في ازدياد الهدير والغليان، وتأجيج الروح الثورية ضد العفونة وتطهير الوطن من الرذائل وازدياد الغضب ضد التمادي في السلب والنهب وامتصاص الدماء.. فالشعب هو الذي يصنع الزلازل تحت أقدام الطغاة، وخير دليل على ذلك أغنية «أنا الشعب صوتاً لفخار الدهور» التي رددها الفنان «أحمد السنيدار» ونظمها «محمد الخيار»..

ولانشك في أن العوامل الموضوعية لعبت دوراً مساعداً في هذه العملية وقتها كالشعور بالرغبة الجامحة للتحرر من مختلف أشكال الرتابة والجمود والظلم الإمامي والسلاطيني، والفنان هو الصوت الذي كان مسموعاً ومرغوباً على الدوام.. لأن الناس كانوا باستمرار يجدون أنفسهم في هذا الفنان الكبير أو ذاك أو في كليهما.. فقد بلغ الشعور الوطني بقوة الثورة وحبها مداه الكبير.

فكان المرشدي ومحمد سعد عبدالله وأحمد قاسم وعطروش واسكندر ثابت والآنسي والحارثي والسنيدار وغيرهم، الصوت الذي زلزل الأرض تحت أقدام الطغاة.. الصوت الذي حرك المشاعر الوطنية، وقادها نحو الثورة والتغيير، الصوت الذي كان أقدر على تحريك الغضب الجماهيري وتوجيهه.. وهذا هو الفن الثوري الجديد الذي استطاع أن يصرخ في وجه المستعمر ويقول:

برع يا استعمار من أرض الأحرار
برع ولى الليل يكويك التيار
تيار الحرية تيار القومية
برع برع برع يا استعمار
تياري الجبار خلّى شعبي ثار
خلّى ذا الجنوب يشعل كالجمرة
تياري الجبار هو نفس التيار
حطم الاستعمار في مصر الحرة
تياري بركان من أجل الإنسان
أشعل في ردفان نيران الثورة..

والفن لن يكون فناً إذا لم يصل إلى مشاعر الجماهير، والفن الجديد هو الفن الثوري ذو النظرة الثاقبة الكاملة، القائمة على إدراك الواقع وفهم حقيقة الصراع الاجتماعي، لأنه يدعو الناس إلى التحرر، وإلى إلغاء الفوارق الاجتماعية، والتي تمثل العدل والمساواة والحراك الاجتماعي الذي يقر بإنسانية الإنسان، ويدعو إلى إلغاء الفوارق بين البشر والفوارق بين المدينة والريف.. وبين الجهد الذهني والجهد العضلي، والفن هنا هو جزء من التنمية التي ترقى بقدرات الشعب، وتطوير إمكاناته المادية والبشرية والفكرية والثقافية، ولكي يحقق الفن قدراً من الانسجام والوئام ويحقق خلوداً حقيقياً (لابد وأن لايخطئ اللحظة التاريخية التي يعيشها المجتمع، ولايتجاوز الحدود الموضوعية لعادات وتقاليد المجتمع، لأن الفنان هو صدى وصوت لمرحلة تاريخية، وهو بالضرورة ينقل هذه المرحلة كماهي في الواقع، بسلبياتها وإيجابياتها، ولهذا يقسم بالتراب، والجبال والصحارى ويعد بالثورة من مخلفات الماضي) فهو يقول:

(بسم هذا التراب
والفيافي الرحاب
والجبال الصعاب
سوف نثأر يا أخي
يا بني هذا الجنوب
اليوم هذا يومكم يوم الشعوب
بالدماء والنار
هيا يا أحرار
نلحق الركب الأبي)

إذاً الفن يحدد عصره، في أي زمان ومكان، وهو صوت المجتمع وثقافته، وأفكاره، ولهذا يظل جزءاً من تاريخ الشعوب الإنسانية، أي أن الفن الخالد هو الفن الذي «يخلق روح الإنسانية في التاريخ».

ومن هذا المنطلق وبدافع الخوف من تأثير الفن، عملت الإمامة والاستعمار على إضعاف دور الفن واحتقاره واضطهاد الفئات والشرائح الاجتماعية التي تمارسه، بما فيها الرقصة الشعبية.. ومن هنا جاء دور الفن في الثورة، حيث أصبح أحد وسائل التعبير الجماهيري، وصوت الرفض، ولسان التغيير المعبرة عن السواد الأعظم من الشعب الذين تفاءلوا بالثورة واعتبروها طريقاً للنصر..

□ من دراسة طويلة للباحث..

أربعة وأربعون عاماً على ثورة سبتمبر

كيف بدأ التفكير بالثورة وتغيير النظام الملكي..؟!!

■ اختلفت الآراء والروايات حول قضايا عدة بلورت التفكير بالثورة اليمنية وتغيير النظام الملكي من بعض القائمين بالثورة او المشاركين فيها او المطلعين عليها.. في هذه الحصيلة نورد قابلية الشعب لفكرة اقامة النظام الجمهوري.. والرأي القائل استبدال امام بإمام.. ودلالات التغيير الامامة والامام.. ومدى تأثير الانتفاضات والحركات التي سبقت الثورة.. عبر شهادات استنبطناها من ندوة فكرية نظمها مركز الدراسات والبحوث اليمني سبتمبر ١٩٧٩م.

إعداد بليغ الحطابي

يقول القاضي عبدالسلام صبره ان التساول عن امكانية اقامة نظام جمهوري كبديل متقدم قبل ثورة ٤٨م.. حيث كان البعض من رعيل ثوار حركة ٤٨م، يطرحون ضرورة الاطاحة بالإمامة واقامة نظام جمهوري.. إلاّ أن الاكثرية عارضت ذلك بسبب ان الظروف حينها وطبيعة البلد لا تسمح بالانتقال من الامامة الى الجمهورية وذلك لغياب الوعي عند الغالبية العظمى من الشعب الذين لا يدركون حتى معنى كلمة الجمهورية.

وهذا الاتجاه كان يمثله المرحوم حسين الكبسي، والذي رأى ابدال امام بإمام «دستوري» امام يعمل لاصلاح الشعب.. والذي كان يرى أنها الخطوة الأولى التي لابد منها.. وهو ما أيده علي الوزير الذي كان مقتنعاً كل الاقتناع من ان الامام يحيى بعناده وصلفه وغروره سيرفض أية فكرة اصلاحية يتم عرضها عليه ولو كانت محدودة.

ويضيف: اذكر ان علي الوزير قال لي بحضور عبدالوهاب نعمان لقد وصلنا مرحلة يعتبر السكوت فيها خيانة للوطن والدين.. ان نظام الامام يحيى اخذ كل ما استطاع انتزاعه تجبراً من المواطنين دون تقديم اقل خدمة للشعب وانه لابد من الانقضاض على نظام «يحيى» الجائر.

إلاّ ان القاضي صبره، رغم كلام الوزير له، لم يصدقه او كما قال «لا استطيع أن اجزم ان علي الوزير كان يهدف الى اقامة نظام جمهوري على انقاض النظام الامامية.

فيما يرى القاضي احمد العرفي ان موضوع

القاضي عبدالسلام صبره:

فكرة إقامة النظام الجمهوري بديل متقدم كانت قبل حركة ٤٨م.. والكبسي عارضها

الفسيل:

من أسباب فشل حركة ٤٨م استبدال إمام حميدي بإمام وزيري.. وحركة ٥٥م أخطأت بعدم الأخذ بتغيير الدلالات

المبايعة للامامة على الأربعة الذي حضروا اجتماع زبيد وهم «حسين بن الامام يحيى، عبدالله الوزير، علي بن حمود شرف الدين، علي الوزير».. والذي جاء الاخير ليقول لهم ان الخلافة لا تصح له لأنه أعور.. ولكنه رأى أن يفعلوها جمهورية.. فعلي الوزير كان يفكر في اقامة نظام جمهوري في الوقت الذي كانت الاقطار العربية ملكية.. فحين ايد علي الوزير، بحسب القاضي العرفي، استخلاف عبدالله الوزير كان فقط كمرحلة انتقالية يمهد لقيام نظام جمهوري.

بينما يؤكد الاستاذ محمد الفسيل ان اسباب فشل حركة ٤٨م، كانت في استبدال اسرة حميد الدين ببيت الوزير «إمام بإمام»، على اساس ان الناس قد الغوا بيت حميد الدين وسيوف الاسلام فعندما أتى سيوف اسلام جدد لم يهضمهم الشعب بسهولة.

وفيما يتعلق بفكرة الجمهورية قال الفسيل ان الفكرة طرحت بشكل جاد وحاسم بعد فشل حركة ٥٥م، وقد تبنى هذه الفكرة محمد احمد نعمان قبل ان يقتنع بها كبار القادة.. إلاّ أنه يرجع ليقول أن الفكرة في ذلك الوقت كانت سابقة لأفكار الجميع.

اخطاء الحركة

ويشير الفسيل الى أن حركة ٥٥م اخطات جداً عندما لم تأخذ بالحسبان تغير دلالات الامامة والامام لدى الشعب.. اذ لم يعد الامام رمزاً للإمامة بل رمزاً للبطش.. فإذا كان قتل الامام يحيى كرمز للامامة التي تعتبر جزءاً من العقيدة الدينية قد أثار مشاعر الناس ضد حركة ٤٨م، فإن عدم قتل الامام احمد كرمز للبطش قد افاق الشعب وابعدهم عن الالتفاف حول حركة ٥٥م.

وهكذا.. فكما أدى قتل الامام يحيى الى فشل ٤٨م، فإن عدم قتل الامام احمد ادى الى فشل حركة ٥٥م ومن هنا كما يقول الاستاذ الفسيل، نلاحظ ان سقوط الهالة الدينية عن الامام احمد ومن ثم عن الامامة اعطى ضوءاً أخضر للنظام الجمهوري كبديل جذري للنظام الامامي.

ويضيف الفسيل: ان محمد احمد نعمان هو اول من توصل الى ان الامامة ليست موجودة في ذهن الناس والموجود هو امام كان يمثل لديهم العقيدة وقد قتل وبقي امام لا يمثل العقيدة لدى الشعب.. إذاً الشعب اصبح مؤهلاً لقبول فكرة الجمهورية.. ومن وقتها نشرت الفكرة جماهيرياً.

ويتفق المرحوم احمد قاسم دماج بما قاله الفسيل.. كون التيارات، كما يعتقد الجديدة التي جاءت قبل قيام الثورة وتبنت فكرة الجمهورية جاءت بعد فشل حركة ٥٥م.

الاستاذ علي الضبه يعتقد أن النظام الجمهوري فرض نفسه كخيار وحيد لا بديل له.. فبيت حميد الدين، كما يقول، انتهوا في ٤٨م، ولكن لم يكن يوجد آنذاك بديل ومن هنا كان استمرار حكم الامام احمد غير طبيعي.. مشيراً الى أن حركة ٥٥م لم تكن وطنية اذ ان السيف عبدالله استغل الثلايا وحركة ٥٥ كوسيلة لترميم نظام الامامة وجعله يرتكز على طبقة

الضبه:

حركة ٥٥م لم تكن وطنية بقدر ما كانت استغلالية كوسيلة لترميم نظام الإمامة باستخدام الثلايا

احمد جابر عفيف:

فكرة الجمهورية انتشرت بعد ٥٥م.. ولم يكن هناك فهم مشترك بطبيعة هذا النظام لدى القائمين به

تجارية كالنظام السعودي، وفشل هذه الحركة الترميمية للامامة، كما يعتبرها، انهت دون شك الامامة.. فالامامة انتهت قبل ٦٢م، واستمرارها الى ٢٦ ستبمبر كان شكلياً لغياب البديل

الشباب والثورة

ويقول الاستاذ احمد جابر عفيف ان فكرة الجمهورية سادت وانتشرت بعد فشل حركة ٥٥م، ولاسيما في صفوف الشباب من طلاب المدارس الداخلية والمدرسة التحضيرية وبين الشباب الذين انتقلوا الى الكلية الحربية في عام ٥٦م.

واضاف حيث كان النظام الجمهورية هو المحور لكل ما يدور من نقاشات في أوساط تلك المجاميع من الشباب والطلاب ومن هنا كما يعتقد تجذرت فكرة الجمهورية بشكل حاسم بين الضباط والشباب داخل تنظيم الضباط الاحرار فيما بعد.

ويتفق عفيف مع ما طرحه زملاؤه السابقون من أن عهد الامام احمد كان لم يعد يمثل الامامة كما كان ابوه يحيى.. فالامام يحيى كان يمثل للشعب اليمني الامامة كعقيدة دينية وكانت الاكثرية من الشعب اليمني تؤمن في عهده بالامامة ولكنها تغيرت في عهد الامام احمد.

ويرجع عفيف ليتساءل في السياق ذاته، هو هل كان هناك اتفاق عام حول مفهوم الجمهورية، او ترتيب وتحديد نظام معين لهذا النظام الجمهوري..

ويجيب قائلاً: في الواقع لم يكن هناك فهم مشترك بطبيعة النظام الجمهوري.. باستثناء بعض الشباب من طلاب المدارس وبعض طلبة الكلية الحربية الذي كان لديهم فهم واضح ومحدد لطبيعة النظام الجمهوري، مستمد في خطوطه من تأثيرات معطيات ثورة ٢٣ يوليو ٥٢م المصرية.

ويعود الاستاذ محمد الفسيل ليتحدث عن تأثيرات ثورة «٢٣ يوليو» على اقامة النظام الجمهوري في اليمن ليقول: دون شك كان لثورة ٥٢م في مصر واقامة النظام الجمهوري فيها على انقاض ملكية اسرة محمد علي تأثيراً كبيراً.. والذي كان في البداية بطريقة غير ملحوظة إلاّ أنه تجلى وتبلور بشكل واضح ومحدد بعد فشل حركة ٥٥م.

واضاف لقد شحذت ثورة ٢٣ يوليو فكر الاحرار واوجدت تطلعات وآمال وهذا يظهر، كما يقول الفسيل، أن فكرة النظام الجمهوري لم تنبع فجأة في ٥٥م، لكن ضمائرها لم تظهر على السطح، فجاءت حركة ٥٥م، لتقفز بها قفزة واحدة الى السطح.

ويضيف ناجي علي الاشول ان فكرة الجمهورية وصلت الى جيلنا من الشباب اليمني آنذاك عن طريق الصحف والاذاعات والتنظيمات، اضافة الى التأثير البالغ لثورة يوليو ٥٢م، واقامة النظام الجمهوري في مصر وما حققه هذا النظام من انجازات كبيرة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

وكذلك دوره عربياً والذي عمل على تنشيط الحركات الوطنية في الساحة العربية.

مؤكداً ان قناعة الشباب اليمني بإفلاس وعقم نظام الامامة جعل تاثرنا بثورة يوليو أكثر قابلية.

قال تعالى:
"وآتوا حقه يوم الحصاد"
صدق الله العظيم
فبادر أخي المسلم بدفع الزكاة إلى إدارة تحصيل الواجبات الزكوية بوحدتك الإدارية
وزارة الإدارة المحلية